ديوان أبي الطيب المتنبي

بشرح أبي البقاء العكبري

المسمى بالتبيان في شرح الديوان

ضبطه وصححه ووضع فهارسه

مصطفى السقا
الأستاذ بكلية الآداب
جامعة القاهرة

ابراهيم الابياري
مدير إدارة إحياء
التراث القديم

عبد الحفيظ شلبي
مدير المكتبات الفرعية
بدار الكتب المصرية

الجزء الأول

الناشر
دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله العظيم سلطانه ، الجزيل إحسانه ، الواضح برهانه ؛ الذى قدّر الأشياء بحكمته ، وخلق الخلق بقُدرته ؛ فمنهم المُريد ، ومنهم البليد ؛ الذى جعل العلم أربح المتاجر ، وأشرف الذخائر ، ورفع به الأصاغر على الأكابر . أحمده على ما أسبغ من نعمه المتواترة ، وعمّ من مننه الوافرة ؛ وأشهد أنْ لاإلهَ إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تمنع قائلها من لَمْس النار ومسّها ، وتجادل عنه «يومَ تَأتى كُلُّ نَفْسٍ تجادلُ عنْ نَفْسِها» ؛ وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، أرسله بأحسن اللغات وأفصحها ، وأبين العبارات وأوضحها ؛ أظهر نورَ فضلها على لسانه ، وعظّم شأنها إظهارا لها ولشانه ؛ وجعلها غاية التبيين ، وخصّه بها دون سائر المرسلين ، وردّ على مَنْ قال من المُلْحدين : « لِسانُ الَّذِى يُلْحِدونَ إليْهِ أعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ » . صلى الله عليه وعلى آله وصحْبه أجمعين ، صلاةً دائمة إلى يوم تُدعى كلّ أمّة إلى كتابها ، ويسوّى بين عَجَم الأمّة وأعرابها ، يوم تخرس الألسنة عن إعرابها .

أما بعد : فإنى لمّا أتقنت الديوان ، الذى انتشر ذِكْرُهُ فى سائر البُلْدان ، وقرأته قراءة فهم وضبط ، على الشيخ الإمام أبى الحَرَم مَكِّىّ بن رَيَّان الماكسينى [1] بالموصل ، سنة

(1) هو أبو الحرم مكى بن ريان بن شبة بن صالح ، الماكسينى المولد ، الموصلى الدار ، المقرئ النحوى الضرير ، الملقب : صائن الدين . كان والده يصنع الأقطاع بماكسين ، وهى بلدة من أعمال الجزيرة ، على نهر الخابور . مات أبوه فقيرا لم يخلف شيئا ، وترك ولده أبا الحرم هذا وأمه وبنتا ، فلم تقدر أمه على القيام بأمره ، ففارقها ، وقصد الموصل ، وأكب على حفظ القرآن ، وتعلم الأدب ، ثم رحل إلى بغداد ، واجتمع بأئمة الأدب . ثم عاد إلى الموصل ، وتصدر بها للإفادة ، وأخذ عنه الناس ، وانتشر ذكره ، وبعد صيته . وقد أضر ، وهو ابن ثمانى سنين أو تسع ، وكان متعصبا لأبى العلاء ، فسلك مسلكه فى النظم ، وكانت وفاته سنة ثلاث وستمئة بالموصل ، ودفن بصحراء باب الميدان ، بمقبرة المعافر بن عمران ، بجوار أبى بكر القرطبى . (راجع وفيات الأعيان ، لابن خلكان ونكت الهميان ، فى نكت العميان للصفدى) .

تسع وتسعين وخمس مئة ، وقرأته بالديار المصرية على الشيخ أبي محمد عبد المنعم بن صالح التيْميّ [1] النحويّ . ورأيت النّاس قد أكثروا من شرح الديوان ، واهتموا بمعانيه ، فأعربوا فيه بكلّ فنّ وأغربوا . فمنهم من قصد المعانى دون الغريب ؛ ومنهم من قصد الإعراب باللفظ القريب ، ومنهم من أطال فيه وأسْهَب غايةَ التّسهيب [2] ؛ ومنهم من قصد التعصُّب عليه ، ونسبه إلى غير ما كان قد قصد إليه ؛ وما فيهم من أتى فيه بشىء شاف ، ولا بعوّض هو للطالب كاف ؛ فاستخرت الله تعالى ، وجمعت كتابى هذا من أقاويل شرّاحه الأعلام ، معتَمِداً على قول إمام القوم المقدّم فيه ، الموضّح لمعانيه ، المقدّم فى علم البيان أبى الفتح عثمان [3] ؛ وقول إمام الأدباء ، وقدوة الشعراء ، أحمد بن سليمان أبى [4] العلاء ؛ وقول الفاضل اللبيب ، إمام كلّ أديب ، أبى زكريا يحيى بن علىّ الخطيب [5] ؛ وقول الإمام الأرشد ، ذى الرأى المسدّد ، أبى الحسن علىّ بن أحمد [6] ؛ وقول جماعة كأبى علىّ [7]

---

(١) كذا فى بغية الوعاة للسيوطى . وهو أبو محمد عبد المنعم بن صالحّ بن أحمد بن محمد القرشى التيمى المكى الإسكندرى النحوى . وقد لازم ابن برى فى النحو مدة ، حتى أحكم الفن ، وسمع من حماد الحرانى ، وكان علامة ديار مصر أدبا ونحوا ، وشيخ مجونها لعبا ولهوا. نزل مصر واستوطنها وانتصب للإمارة ، وكان مولده يوم الثلاثاء ١٦ شعبان سنة ٥٤٧ هـ . ووفاته ليلة السبت ٢٣ ربيع الآخر سنة ٦٣٣ هـ . وفى الأصل : « أبو محمد عبد المنعم ابن صباح . . . الخ » .

(٢) لم يرد التسهيب بمعنى الإكثار كالإسهاب ، كما يراد منه هنا ، وكل ما نصت عليه كتب اللغة فى معنى : « التسهيب » هو ذهاب العقل ، كما نصت أيضا على أن الفعل منه ممات .

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى المشهور ، وكان إماما فى علم العروض ، وكان أبوه ابن جنى مملوكا روميا لسليمان بن فهر بن أحمد الأزدى . ولابن جنى مؤلفات كثيرة مفيدة ، وكانت ولادته قبل الثلاثين والثلثمائة بالموصل ، وتوفى يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة ٣٩٢ هـ ببغداد .

(٤) فى الأصل : (ابن) وهو تحريف .

(٥) هو أبو زكريا يحيى بن على بن الحسن بن بسطام الشيبانى التبريزى المعروف بالخطيب ، أحد أئمة اللغة . وله كتب كثيرة مفيدة ، وكانت ولادته سنة ٤٢١ هـ . وتوفى فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ٥٠٢ هـ . ببغداد .

(٦) هو أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الإمام الواحدى ، وهو مصنف ، مفسر ، نحوى ، أستاذ عصره ، وواحد دهره ، أنفق شبابه فى التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، فتلمذ لأبى الفضل العروضى ، وقرأ على أبى الحسن الضرير النحوى ، وكان نظام الملك يكرمه ويعظمه ، وكان حقيقا بالاحترام والإعظام لولا ما كان فيه من إزرائه على الأئمة المتقدمين ، وبسط اللسان فيهم بما لا يليق ، وله كتب مفيدة ، منها : شرح ديوان المتنبى . وقد وقف على طبعه الشيخ فردريك ديتريصى فى مدينة برلين سنة ١٨٦١ م . وتوفى الواحدى سنة ٤٦٨ هـ .

(٧) هو أبو على محمد بن حمد (وقيل حمد بن محمد) ابن عبد الله بن محمود بن فورجة (وهو كما ضبطه السيوطى فى البغية) بضم الفاء وسكون الواو ، وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم ثم هاء . وذكر ابن شاكر فى فوات الوفيات أنه بالزاى المعجمة) البروجردى . وهو أديب فاضل مصنف ، ومن كتبه : « التجنى على ابن جنى » يرد فيه على ابن جنى فى شرح شعر المتنبى . وكان مولده فى ذى الحجة سنة ٣٣٠ هـ .

ابن فَوُرّجَّة ، وأبى الفضل العَروضىّ ، وأبى بكر الخوارزمىّ [1] ، وأبى محمد الحسن [2] ابن وَكيع ، وابن الإفليلى [3] ، وجماعة .

وسميتــــه :

بالتبيان ، فى شرح الديوان

وجعلت غرائب إعرابه أوّلا ، وغرائب لغاته ثانيا ، ومعانيه ثالثا ، وليس غريب اللغة بغريب المعنى . فالله تعالى يعصمنا من ألسن الحسّاد ، ويوقع فى قلب ناظره وسامعه القبول ، إنه كريم جواد .

---

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى ، ابن أخت محمد بن جرير الطبرى ، وكان واحد عصره فى حفظ اللغة والشعر . استوطن نيسابور ، ومات فى رمضان سنة ٣٨٣ هـ .

(٢) كذا فى وفيات الأعيان ، وهو أبو محمد الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن خندمة ابن زياد الضبى ، المعروف « بابن وكيع » التنيسى الشاعر المشهور . أصله من بغداد ، ومولده بتنيس . وله كتاب بين فيه سرقات أبى الطيب المتنبى ، سماه « المنصف » ، وكان فى لسانه عجمة . وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ٣٩٣ هـ . بمدينة تنيس ، ودفن فى المقبرة الكبرى فى القبة التى بنيت له . وكان جده وكيع نائبا فى الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقى . وفى الأصل : « أبى الحسن بن وكيع » .

(٣) كذا فى بغية الوعاة ، وهو إبراهيم بن محمد بن زكريا بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبى وقاص القرشى الزهرى أبو القاسم المعروف بابن الافليلى (بالفاء) . وكان عالما بالنحو واللغة ، بذ أهل زمانه فى اللسان العربى ، والضبط لغريب اللغة وألفاظ الشعر ، وله شرح ديوان المتنبى ، ولم يصنف غيره . واتهم فى دينه مع جملة الأطباء أمام هشام المروانى فسجن ، ثم أطلق ، وكانت ولادته فى شوال سنة ٣٥٢ هـ . وتوفى يوم السبت ١٣ ذى القعدة سنة ٤٤١ هـ . وفى الأصل : « الاقليلى » بالقاف ، وهو تصحيف .

(١)

التعريف بأبى الطيب المتنبى

٣٠٣ – ٣٥٤ هـ

نسبه :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين ، الملقب بالمتنبى . أصل آبائه — على المشهور — من اليمن ، فأبوه جعْفِىّ ، وأمّه هَمْدانية ، ووُلد هو بالكُوفة ، بمَحلّة كِنْدَة ، فنسب إليها ، وليس من قبيلة كِندة على الحقيقة . وقد زعم بعض الرواة أن أباه كان يسمى عَبدان ، وأنه كان فقيرا ، وأنه كان يسقى الماء ، وليس فى شعر المتنبى ما يشير إلى شىء من ذلك .

نشأته وحياته وموته :

نشأ أبو الطيب بالكوفة ، وفيها تعلم القراءة والكتابة فى صباه ، ثم خرج إلى البادية ، وخالط فصحاء البــدو ، فأخذ عنهم اللغة ، وعاد إلى وطنه بدويا قُحا ، ثم لازم الوراقين ، وقرأ كثيرا من الكتب ، فكان علمه من دفاترهم ، ثم رحل به أبوه إلى الشام وهو فى نحو السادسة عشرة من العمر ، وخرج إلى بادية السّماوة ، حيث قبائل بنى كلب ، فأقام فيهم ينشد شــعره ، فعظم شأنه بينهم ، وقويت فصاحته فيهم ، وكان يختلف إلى بعض أمصار الشام ، فيقال إنه ادعى النبوة ، وتبعه من البدو خلق كثير ، فخرج إليه لولو أمير حِمْص من قبل الإخشيدية ، فقبض عليه وسجنه ، حتى كاد يتلف ، ثم استتابه وأطلقه ، فخرج من السجن وقد لَصِق به لقب المتنبى ، وكان له كارها . ثم جال أبو الطيب بعد ذلك فى أمصار الشام ، يمدح الولاة والعظماء ، فيجزلون له العطاء ، حتى اتصل بسيف الدولة « على بن أبى الهيجاء الحَمْدانى » أمير حلب فى سنة ٣٣٧ هـ ، فصار أكبر شعرائه ، ومدحه بقصائد خالدة ، من خــير شعره ، وتعلم عنده الفروسية ، وحضر معه وقائعه فى الروم ، ووصفها أحسن وصف ، وبقى أثيرا عند سيف الدولة ، حتى حسده بعض

حاشيته ، كأبي فراس الحَمْدَانيّ ، وابن خالويه النحويّ ، فغيروا قلب سيف الدولة عليه ، ففارقه المتنبي على كره سنة ٣٤٦ هـ بعد أن لازمه أكثر من تسع سنين .

خرج المتنبي من حَلَب ، فجال في بعض نواحي الشام وفِلَسْطين ، فكتب كافور الإخشيدي إلى عامله بالرَّمْلَة ليبعث به إليه ، فجاء المتنبي مصر ، وأكرمه كافور ، فطلب منه المتنبي أن يوليه ولاية في مصر أو الشام ، فوعده كافور أولا ، ثم ماطله لما رأى من تعاليه ، وما عرف عنه من أمر النبوة ، وخشي إن هو ولاه أن يطمع في ملك مصر من بعده ، فقال لمن عاتبه في أمره : « ياقوم ، من ادعى النبوة بعد محمد ، أما يدعى المملكة بعد كافور؟ فحسبكم » . فلما يئس المتنبي منه خرج من مصر ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ ، فمال إلى الحجاز ، حتى إذا دنا من مدينة الرسول ، سار من ثمة إلى الكوفة ، فوصل إليها سنة ٣٥١ ، وفي الكوفة وطنه الأول لبث إلى سنة ٣٥٣ هـ على أنه كان يتنقل في أثناء تلك الفترة بينها وبين بغداد ؛ وقد دخل بغداد سنة ٣٥٢ فرغب أبو محمد المهلبيّ وزير معز الدولة بن بُوَيه أن يمدحه المتنبي بشعره ، فلم يجبه إلى ذلك ، لما رأى المتنبي من استهتاره ، فأغرى به المهلبي جماعة من شعراء العراق ، فأهانوه ، فأعرض عنهم المتنبي . وفي أوائل سنة ٣٥٤ بعد موت المهلبي أراد المتنبي أن يُطَوِّف في العراق ، فكتب إليه أبو الفضل بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه يستزيره بأَرَّجَان ، فقصد إليه المتنبي ، ومدحه بمدائح فخمة ، فأجزل صلاته ، ثم كتب إليه عضد الدولة بن بُوَيه يستزيره بشيراز ، فذهب إليه ومدحه ، وعاد من عنده ، ومعه من الأموال والنفائس شيء كثير ، ولما قرب من بغداد خرج عليه جماعة من البدو ، فقتلوه عند دير العاقول ، وقتلوا معه ابنه مُحَسَّدًا ، وغلامه مُفْلِحا ، وانتهبوا ما كان معه من الأموال والنفائس ، وذلك في أواخر رمضان سنة ٣٥٤ هـ .

* * *

شعره :

والكلام كثير في شعر أبي الطيب وتفوّقه على شعراء عصره ، بل شعراء العربية قاطبة ، وليس هذا موضع بسط الحديث في هذا وأشباهه ، وإنما نسجل هنا ظاهرة امتاز

(١)

التعريف بأبى الطيب المتنبي

٣٠٣ - ٣٥٤ هـ

نسبه :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين ، الملقب بالمتنبي . أصل آبائه — على المشهور — من اليمن ، فأبوه جعفىّ ، وأمه همْدانية ، ووُلد هو بالكوفة ، بمَحلّة كِنْدَة ، فنسب إليها ، وليس من قبيلة كِندة على الحقيقة . وقد زعم بعض الرواة أن أباه كان يسمى عَبدان ، وأنه كان فقيرا ، وأنه كان يسقى الماء ، وليس فى شعر المتنبي ما يشير إلى شىء من ذلك .

نشأته وحياته وموته :

نشأ أبو الطيب بالكوفة ، وفيها تعلم القراءة والكتابة فى صباه ، ثم خرج إلى البادية ، وخالط فصحاء البدو ، فأخذ عنهم اللغة ، وعاد إلى وطنه بدويا قُحا ، ثم لازم الوراقين ، وقرأ كثيرا من الكتب ؛ فكان علمه من دفاترهم ، ثم رحل به أبوه إلى الشام وهو فى نحو السادسة عشرة من العمر ، وخرج إلى بادية السَّماوة ، حيث قبائل بنى كلب ، فأقام فيهم ينشد شعره ، فعظم شأنه بينهم ، وقويت فصاحته فيهم ، وكان يختلف إلى بعض أمصار الشام ، فيقال إنه ادعى النبوة ، وتبعه من البدو خلق كثير ، فخرج إليه لولو أمير حِمْص من قبل الإخشيدية ، فقبض عليه وسجنه ، حتى كاد يتلف ، ثم استتابه وأطلقه ، فخرج من السجن وقد لَصِق به لقب المتنبي ، وكان له كارها . ثم جال أبو الطيب بعد ذلك فى أمصار الشام ، يمدح الولاة والعظماء ، فيجزلون له العطاء ، حتى اتصل بسيف الدولة « على بن أبى الهيجاء الحَمدانى » أمير حلب فى سنة ٣٣٧ هـ ، فصار أكبر شعرائه ، ومدحه بقصائد خالدة ، من خير شعره ، وتعلم عنده الفروسية ، وحضر معه وقائعه فى الروم ، ووصفها أحسن وصف ، وبقى أثيرا عند سيف الدولة ، حتى حسده بعض

حاشيته ، كأبي فراس الحَمْدانيّ ، وابن خالويه النحويّ ، فغيروا قلب سيف الدولة عليه ، ففارقه المتنبي على كره سنة ٣٤٦ هـ بعد أن لازمه أكثر من تسع سنين .

خرج المتنبي من حَلَب ، فجال في بعض نواحي الشام وفِلَسْطين ، فكتب كافور الإخشيدي إلى عامله بالرَّمْلَة ليبعث به إليه ، فجاء المتنبي مصر ، وأكرمه كافور ، فطلب منه المتنبي أن يوليه ولاية في مصر أو الشام ، فوعده كافور أولا ، ثم ماطله لما رأى من تعاليه ، وما عرف عنه من أمر النبوة ، وخشي إن هو ولاه أن يطمع في ملك مصر من بعده ، فقال لمن عاتبه في أمره : « ياقوم ، من ادعى النبوة بعد محمد ، أما يدعى المملكة بعد كافور؟ فحسبكم » . فلما يئس المتنبي منه خرج من مصر ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ ، فمال إلى الحجاز ، حتى إذا دنا من مدينة الرسول ، سار من ثمة إلى الكوفة ، فوصل إليها سنة ٣٥١ ، وفي الكوفة وطنه الأول لبث إلى سنة ٣٥٣ هـ على أنه كان يتنقل في أثناء تلك الفترة بينها وبين بغداد ؛ وقد دخل بغداد سنة ٣٥٢ فرغب أبو محمد المهلبيّ وزير معز الدولة بن بُوَيه أن يمدحه المتنبي بشعره ، فلم يجبه إلى ذلك ، لما رأى المتنبي من استهتاره ، فأغرى به المهلبي جماعة من شعراء العراق ، فأهانوه ، فأعرض عنهم المتنبي . وفي أوائل سنة ٣٥٤ بعد موت المهلبي أراد المتنبي أن يُطَوِّف في العراق ، فكتب إليه أبو الفضل بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه يستزيره بأَرَّجَان ، فقصد إليه المتنبي ، ومدحه بمدائح فخمة ، فأجزل صلاته ، ثم كتب إليه عضد الدولة بن بُوَيه يستزيره بشيراز ، فذهب إليه ومدحه ، وعاد من عنده ، ومعه من الأموال والنفائس شيء كثير ، ولما قرب من بغداد خرج عليه جماعة من البدو ، فقتلوه عند دير العاقول ، وقتلوا معه ابنه مُحَسَّدًا ، وغلامه مُفْلِحا ، وانتهبوا ما كان معه من الأموال والنفائس ، وذلك في أواخر رمضان سنة ٣٥٤ هـ .

* * *

شعره :

والكلام كثير في شعر أبي الطيب وتفوّقه على شعراء عصره ، بل شعراء العربية قاطبة ، وليس هذا موضع بسط الحديث في هذا وأشباهه ، وإنما نسجل هنا ظاهرة امتاز

بها شعر أبي الطيب ، تلك هي تأثير البيئة العامة في شعر هذا الشاعر . حتى كان أشبه بمرآة تنعكس عليها أحوال الناس في القرن الرابع الهجريّ ، ذلك إلى ما يظهر في خلال أشعاره من تأثير بيئته الخاصة ، وصورة نفسه القلقة ، ومزاجه الحادّ ، وأخلاقه الصارمة ، فكل هذا نراه واضحا ، ونحسه قويا في ديوانه ، وهاك بعض المُثُل من شعره تتبين منها صدق ذلك :

١ — نشأ المتنبي منذ صباه في بيئة لا يسمع فيها إلا صليل السيوف . إذ كانت المملكة العربية في عصر الانحلال ، والانقسام إلى ما يشبه نظام ملوك الطوائف ، وقد رأى الدولة تتقسمها الأهواء والنزعات ، وتتعاورها عوامل الهدم في كل ناحية ، فمن ثورات ملوك لإنشاء الأوطان المستقلة ، إلى فتن للقرامطة والخوارج على الدولة . وقد تأثر المتنبي بهذه الأحوال ، وظهر أثرها قويا جدا في شعره الثائر ، وأكثر من ذكر الحرب والطعن ، وتغنى بالسيف والرمح ، حتى قيل له يوما ، وهو في الكُتَّاب : ما أحسن وَفْرتك فقال :

لاَ تَحْسُنُ الْوَفْرَةُ حَتى تُرَى   مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يوم القتال
عَلَى فَتى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً   يَعُلُّها مِنْ كل وَافِى السِّبَال

٢ — ورأى أن كثيرا من المتغلبين في زمانه لايفوقونه في العقل والسبق ، بل منهم العبيدُ الذينَ جرى عليهم الرّق ، فحدّثته نفسه بطلب الملك ، وإن لقي في سبيله الموت ، وفي ذلك يقول :

رِدِى حِياض الرَّدَى يانَفْسُ وَاتّرِكِى   حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى للشَاءِ والنَّعَمِ
إنْ لَمْ أذَرْكِ عَلَى الأَرْمَاحِ سائِلَةً   فَلاَ دُعيت ابنَ أُمّ المجد والكرم
ميعاد كل رقيق الشَّفْرَتين غَدًا   وِمَنْ عَصَى من ملوك العُرب والعَجَمِ

٣ — وشهد كثيرا من المعارك التي نشبت بين المسلمين والروم ، وهو في حاشية سيف الدولة ووصفها ، فبرع في هذا الفن براعة تفوّق بها على الشعراء ، وذلك كقوله من قصيدة في مدح سيف الدولة :

وَقَفْتَ ومافى الموتِ شكٌّ لواقفٍ   كأنك فى جفن الرَّدَى وهْو نائم
تمر بك الأبطالُ كَلْمَى هَزِيمةً   ووجهك وضاح وثغرك باسم

٤ — واختلف كثيرا إلى البادية . وأقام بها ، فتعلق بغريب لغاتها ، وشاعت المعانى البدوية فى كلامه ، كقوله :

أَلاَ كُل ماشِيَةِ الخَيْزَلَى فِدَا كُلّ ماشِيَةِ الهَيْدَبَى
وَكُلّ نَجَاةٍ بُجَاوِيَّةٍ خَنُوفٍ وَمَا بِىَ حُسْنُ المِشَى

هذه أمثلة لتأثير البيئة العامة فى شعره ، أما تأثير البيئة الخاصة فهذه أمثلة تدل عليه :

١ — نشأ المتنبى من أسرة رقيقة الحال ، على ما يظهر من كتب التراجم ، ولكنه كان يشعر بسموّ مواهبه ، فيفخر بنفسه ، وذلك إذ يقول :

ما بقومى شرُفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجدودى

٢ — وكان أبو الطيب فَطِنا طَبا بخبايا النفوس ، وكثرتْ أسفاره ، فزادته علما بطبائع الناس ، ولذلك كان يحسن ما اتصل بالطبائع والأخلاق من المعانى ، كقوله :

إنّمَا أنْفُسُ الأنيسِ سِبَاعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيَالاَ
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أنْ يكونَ الغَضَنْفَرَ الرِّئْبالاَ
من أطاقَ التماس شىء غِلابا وَاغتِصَابا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤالا

٣ — عرف المتنبى قيمة المال منذ صباه ، وكان طموحا إلى ابتناء المجد ، فأحب أن يصل إليه من طريق المال . فحرص عليه ، وجد فى طلبه ، فمدح الملوك والعظماء ، استدرارا للعطاء ، وكان طمعه فى المال يوقظ خياله ، وينشط فكره ، فيأتى بالمعانى المبتكرة ، كقوله فى مدح سيف الدولة :

أتحسِبُ بِيضُ الهندِ أصْلَكَ أصْلَهَا وَأنّكَ مِنْهَا ؟ ساءَ ما تَتَوَهّمُ
إذا نحْنُ سَمّيْنَاكَ خلنا سُيُوفَنَا مِنَ التِّيهِ فى أغمادِها تَتَبَسّمُ

* * *

وخلاصة القول أن شعر أبى الطيب مرآة لعصره ونفسه ، وهو مظهر لهمته العالية ونفسه الطّموح ، وأخلاقه القوية ، وقد مضى على مقتله ألف عام أو تزيد ، ولا يزال

شعره حيا فينا ، قوى التأثير في نفوسنا ، يملؤنا إعجابا بنبوغه ، ويملؤنا حرصا على التمسك بمثله العليا ، كالشرف والشجاعة وعلوّ الهمة ، ولا يزال الناس حتى اليوم في شغل به كما يقول ابن رشيق ؛ ولا يُعرف شاعر في العربية احتفل بنبوغه القدماء والمحدثون من العلماء والنقاد حفاوتهم بأبي الطيب ؛ ولئن كان احتفال القدماء به عظيما . إن احتفال المحدثين به لأعظم ، وحسبه فخارا أن العلماء في الشرق والغرب أقاموا في كل بلد عيدا ، احتفاء بذكراه ؛ ولئن فاته العرش الذي كان يبغي الوصول إليه في حياته . لقد تبوأ عرش القلوب بعد مماته . وهو الشاعر الخالد . الذي يروي حكمه السائرة في كل يوم آلاف الناس من الأدباء والعلماء وغيرهم ، وبحسبه أن يقول :

وما الدهرُ إلاّ مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدي إذَا قُلْتُ شِعْرًا أصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

فَسَارَ بِهِ مَنْ لاَ يَسِيرُ مُشَمِّرًا وَغَنَّى بِهِ مَنْ لاَ يُغَنِّي مُغَرِّدَا

التعريف بأبى البقاء العكبرى

٥٣٨ - ٦١٦ هـ

نسبه ومولده :

هو أبو البقاء عبدالله بن الحسين، العُكْـبَرِىّ الأصل ، البغدادى المولد والدار. وعُكْبَرا التى ينسب إليها : بُلَيدة على دِجْلَة ، فوق بغداد بعشرة فراسخ ، وهى بضم العين المهملة ، وسكون الكاف ، وفتح الباء الموحدة ، وبعدها راء كما فى ابن خلكان . وفى القاموس: عُكْـبَرَاءُ بفتح الباء ، ويقصر: بلدة ، والنسبة عُكْـبَرَاوِىّ وعُكْبرِىّ . وفى نكت الهِمْيان للصفدىّ فى نسبه : الأزَجِىّ ، وهى نسبة إلى باب الأزَج ، محلة ببغداد كما فى القاموس .

واتفقت كتب التراجم على أنه ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وتوفى سنة ست عشرة وستمائة ببغداد ، ودفن بباب حرب .

وقد ترجمه ابن خلكان فى الوفيات ، والصَفَدىّ فى نَكْت الهِمْيان ، والسيوطى فى بُغية الوعاة ، والتراجم الثلاث متشابهة ، وهى تضيق عند ذكر ما يتعلق بحياة أبى البقاء الخاصة ، فلم نعلم منها إلا أنه أضر بالجَدَرِىّ وهو صغير ، وأن زوجته كانت تقرأ له ، وأنه كان يتردد على بعض الرؤساء لتعليم الأدب ، ولكنها تذكر شيوخه وأسماء كتبه فى شىء من التفصيل ، على تفاوت بينها .

علمه :

والذى يؤخذ من هذه المصادر الثلاثة مجتمعة أن أبا البقاء قرأ علوم الدين وعلوم العربية على كبار مشيخة عصره ببغداد ، فقرأ القرآن بالروايات على أبى الحسن البطائحى ، وتفقه بأبى حكيم إبراهيم بن دينار النهاوندى ، ثم بالقاضى أبى يَعْلَى الفراء ، ولازمه حتى برع فى المذهب والخلاف والأصول ، وسمع الحديث فى صباه من أبى الفتح محمد بن عبد الباقى بن أحمد المعروف بابن البطى ، ومن أبى زُرْعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى ، وأبى بكر

عبد الله بن النَقُور ، وأبي العباس أحمد بن المبارك بن المرقعانى وغيرهم . وقرأ الأدب على الشيخ عبد الرحيم بن العَصَّار ، والنحو على أبي محمد بن الخشاب ، وعلى غيره من مشايخ عصره ببغداد ، كأبي البركات يحيى بن نجاح .

قالوا : وقد حاز قصب السبق فى العربية ، وصار فيها من الرؤساء المتقدمين . وقصده الناس من الأقطار ، حتى كان فى آخر عمره أعلم أهل زمانه بفنونه .

وقد أقرأ النحو واللغة والمذهب والخلاف والفرائض والحساب .

وكان ثقة صدوقا ينقله ويحكيه ، غزير الفضل ، كامل الأوصاف ، كثير المحفوظ ، ديِّنا ، حسن الأخلاق ، متواضعا ، رقيق القلب ، سريع الدَّمْعة .

وكان حنبليّ المذهب ، وقد سأله جماعة من الشافعية أن ينتقل إلى مذهب الشافعى ويعطوه تدريس النحو فى النظامية ، فقال : لو أقمتونى وصببتم على الذهب حتى واريتمونى ما رجعت عن مذهبى . وكان لا تمضى عليه ساعة من ليل أو نهار إلا فى العلم .

وكان أبو البقاء كثير الاشتغال بالتأليف ، وكان إذا أراد التصنيف أحضرت إليه مصنفات ذلك الفن وقرئت عليه ، فإذا حصَّل ما يريده فى خاطره أملاه .

مؤلفاته :

أما مصنفاته فقد ذكرت أسماؤها فى المصادر الثلاثة السابقة ، ولكن أوفاها وأكثرها تفصيلا نَكْت الهِمْيان للصَّفَدى .

وهاك ثَبَتا بما ذكر فى المصادر الثلاثة من مؤلفاته :

ا — الكتب الدينية

١ — تفسير القرآن .
٢ — متشابه القرآن .
٣ — عدد آى القرآن .
٤ — المرام فى نهاية الأحكام (فى المذهب) .
٥ — الكلام على دليل التلازم .
٦ — تعليق فى الخلاف .
٧ — المنقح من الخطل ، فى الجدل .
٨ — شرح الهداية لأبى الخطاب .
٩ — الناهض فى علم الفرائض .
١٠ — البلغة فى الفرائض
١١ — التلخيص فى الفرائض .

ب — الكتب العربية

١٢ — إعراب القرآن فى جزأين (مطبوع)
١٣ — إعراب الشواذ من القراءات .
١٤ — إعراب الحديث . (لطيف) .
١٥ — إعراب الحماسة .
١٦ — الإفصاح ، عن معانى أبيات الإيضاح .
١٧ — اللباب ، فى علل البناء والإعراب .
١٨ — لباب الكتاب ، شرح أبيات كتاب سيبويه .
١٩ — تلخيص أبيات الشعر لأبى على .
٢٠ — تلخيص التنبيه لابن جنى .
٢١ — مختصر أصول ابن السراج .
٢٢ — المحصل ، فى إيضاح المفصل (مستوفى) .
٢٣ — مقدمة ، فى النحو .
٢٤ — الإشارة ، فى النحو .
٢٥ — التلخيص ، فى النحو .
٢٦ — التلقين ، فى النحو .
٢٧ — التهذيب ، فى النحو .
٢٨ — أجوبة المسائل الحلبيات .
٢٩ — مسائل نحو مفردة .
٣٠ — مسألة فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) .
٣١ — التبيين ، فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين .
٣٢ — نزهة الطرف ، فى إيضاح قانون الصرف .
٣٣ — الترصيف ، فى علم التصريف .
٣٤ — المنتخب ، من كتاب المحتسب .
٣٥ — لغة الفقه .

٣٦ — المَشُوف المُعْلِم ، فى تركيب كتاب « إصلاح المنطق » على حروف المعجم .

٣٧ — شرح الفصيح .

٣٨ — لغة الفقه .

٣٩ — المصباح فى شرح التكملة والإيضاح

٤٠ — المتَّبَع ، فى شرح اللُّمَع ، لابن جنى .

٤١ — التبيان فى شرح الديوان : (ديوان المتنبى) .

٤٢ — شرح الحماسة .

٤٣ — شرح المقامات الحريرية .

٤٤ — شرح الخطب النّباتية .

٤٥ — شرح بعض قصائد رؤبة .

ج — كتاب الحساب

٤٦ — مقدمة فى الحساب .

٤٧ — الاستيعاب ، فى أنواع الحساب .

* * *

ولا بد لنا بعد هذا من الإشارة إلى أمرين :

الأول : أن السيوطى لم يذكر شرح العكبرى لديوان المتنبى ، وأن ابن خلكان والصفدى أخبرا بأنه شرحا ديوان المتنبى ، ولم يسمياه : « التبيان ، فى شرح الديوان » . وكذلك لم تذكر المصادر الثلاثة كتاب « التبيين » فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » بهذا الاسم الذى ورد فى فهارس كتاب الإنصاف المطبوع فى ألمانيا ، وإنما اختصرت التسمية ، فذكرت للمؤلف « مسائل الخلاف » فى النحو ، وأكبر الظن أن اختصار الاسم من عمل أصحاب التراجم ، لا من اختلاف النسخ .

الثانى : أن الكثرة من مؤلفات العكبرى تدل على أنه كان نحويا ، وقد علمنا من شرحه للمتنبى أنه كان ينتصر للمذهب الكوفى ، وقد ألف لذلك كتابه « التبيين » ، ونظن أنه نقل منه كثيرا فى شرح الديوان ، وهو حينما يورد حجج الكوفيين يقدم بين يديها بهذه العبارة : وقال أصحابنا ، أو واحتج أصحابنا . وقد تتبعنا أكثر ما أورده من المسائل الخلافية فى شرح الديوان فوجدناه ينقل عبارة ابن الأنبارى فى « الإنصاف » نقلا حرفيا بأمثلتها

وشواهدها وترتيبها ، ولا يمكن تفسير هذا إلا بأن العكبرى اختصر كتاب الإنصاف ، وسمى مختصره « التبيين » . ويستطيع القارئ أن يقابل بين هذه المسائل الثلاث فى شرح العكبرى وكتاب الإنصاف ، المطبوع فى مطبعة بريل بليدن سنة ١٩١٣ :

١ — الخلاف فى اسم لاالنافية للجنس : أمبنى هو أم معرب ؟ وهذه هى المسألة أل ٥٣ فى الإنصاف ، وقد وردت بطبعتنا هذه فى الجزء الأول ص ٢٣٢ .

٢ — الخلاف فى « نعم ، وبئس » اسمان هما أم فعلان ؟ المسألة أل ١٤ فى الإنصاف . ووردت فى الجزء الأول ص ٢٩٩ من طبعتنا هذه .

٣ — الخلاف فى « حَتَّى » أتنصب الفعل بنفسها أم بأن مقدرة . . . . الخ ، وهى المسألة أل ٨٣ من الإنصاف ، وقد وردت فى الجزء الأول ص ٣١٢ من طبعتنا هذه .

* * *

شعر العكبرى :

ويقول أصحاب التراجم إن أبا البقاء كان يقول الشعر ، ولم يوردوا له إلا قطعة واحدة ثلاثة أبيات ، قالها يمدح الوزير بن مَهْدىّ ، وهى :

بِكَ أضْحَى جِيدُ الزَّمَانِ مُحَلَّى ... بَعْدَ أنْ كانَ من عُلاه مُخَلَّى

لا يُجَارِيكَ فى نِجَارِيكَ شَخْصٌ ... أنت أغلى قدرا ، وأعلى محلاَّ

دُمْتَ تحيي ما قد أُميتَ من الفَضْلِ ، وتَنْفِى فَقْرًا ، وتَطْرُدُ مَحْلا

وهذا من شعر العلماء ، وأصحاب الصنعة ، وليس من شعر الفصحاء المطبوعين .

* * *